

دراسات محكمة

تحالف المعرفة والسلطة
في النزعة الاقتصادية الليبرالية الحديثة

الحسين أخدوش

باحث أكاديمي ومترجم مغربي



ملخص:

إنّ تحوّل المعرفة إلى قوّة وهيمنة قد تعمّق كثيرا في الفترتين الحديثة والمعاصرة، وبخاصّة في دوائر إنتاج العلم والتحكّم به (أي مؤسسات البحث الأكاديمية واستثمارات الشركات الكبرى)، لذلك تحوّلت المعارف من مجرد بحوث أكاديمية مُنجزّة ضمن دائرة المهتمين المتخصّصين في الجامعات والمعاهد العليا إلى أدوات فعّالة لكسب الريح وبسط النفوذ والسيطرة.

كلمات مفتاحية:

علم، معرفة، فلسفة وضعية، سلطة، معرفية علمية، سيطرة، إلخ.

Abstract:

The transformation of knowledge into power and dominance has been considerably deepened in modern times, particularly in the science production and control circles (i.e. academic research institutions and large corporate investments); so, knowledge has shifted from being just academic research within the circle of interested specialists in universities and higher institutes to effective tools for profit and influence and control.

Keywords:

Science, knowledge, philosophy of science, authority, scientific knowledge, power, etc.

تمهيد

أضحت مشكلات الراهن، أو ما يسمّى بالمسائل القريبة، باعتبارها قضايا ال"هنا" و"الآن"، موضوعات راهنية للفكر النقدي المعاصر الرافض للأيديولوجيات المحايدة لخطابات السياسة والاقتصاد، خاصّة تلك التي تخدم علاقات السيطرة ونفوذ ذوي السلطة والهيمنة. في هذا الإطار، دأبت المقاربات النقدية المعاصرة (الفلسفية والسوسيولوجية) على تناول مسائل قريبة من انشغالات الناس، خاصّة منها تلك التي تمسّ حياة الأفراد في معيشتهم اليومي¹. في هذا الشأن، شكّلت مسائل الاقتصاد والمعرفة والعلم والسياسة في علاقتها بتصورات الإنسان المعاصر للحياة الرغيدة المرقّبة، قضية مثيرة للاهتمام والنقاش، وهذا ما أثار البحث النظري والمنهجي حولها من جديد، وعلى أصعدة مختلفة: سياسية واقتصادية واجتماعية وفلسفية.

نهضت بهذه القضايا بعض التحليلات والمقاربات النقدية ذات الخلفيات السوسيولوجية والفكرية، حيث تجددت معها روح النظرية النقدية المعاصرة التي تعود في أصولها النظرية والمنهجية إلى نقدية نيتشه وماركس وفرويد، وأساسا إلى رواد مدرسة فرانكفورت المعاصرة (هوركهايمر، أدورنو، كارل مانهايم...)، وهي كلّها تيارات نقدية بخلفيات شكّية ريبية للزعات ذات الميول الهيمنية والشمولية². ومن بين هذه التيارات الجديدة تيار التواصل النقدي واتجاه التفكيك وتيار البيئة

¹ Catherine Halpern, « Cartographie des pensée critiques » ; in Sciences Humaines, num 260, Mai 2014. P 54

² -هوركهايمر وأدورنو، جدل التنوير، شذرات فلسفية: ترجمة جورج كتورة، الطبعة الأولى، عن دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت-لبنان، يناير 2006، ص

والتنمية الذي يمثل نقد الفكر التنموي في جوانبه المتمثلة في مركزية الاستهلاك، بالإضافة إلى مختلف التيارات الأخرى الناقدة للتوجهات المتطرفة المضادة للبيئة والطبيعة وحرية الإنسان.³

تقع مسألة المعرفة باعتبارها سيطرة وقوة في صلب هذا النقاش الدائر حول إشكالية السلطة وبسط النفوذ. فقد كفت المعرفة عن أن تكون محايدة تخدم أسطورة تقدّم الإنسان، لتتحول إلى أداة للهيمنة وخدمة علاقات السيطرة، سواء بين طبقات المجتمع الواحد، أو فيما بين الدول والأمم والتكتلات الاقتصادية والسياسية والعسكرية. وفي هذا الإطار نقترح مسألة حدود فكرة حيادية المعرفة ببحث وتحقيق نقيضها القاضي بكونها مجرد أداة في خدمة علاقات السيطرة والهيمنة القائمة في الواقع، وذلك من خلال بحث التساؤلات الآتية: كيف تحوّلت المعرفة من أفق التنوير والبحث عن سبل التحرر إلى أداة للهيمنة وتكريس الغلبة والسيطرة؟ وهل المعرفة محايدة في تداولها واستعمالها بين الناس والأمم؟ أم أنها متحيّزة وحاملة لأيديولوجيا وقيم المتحكّمين بها؟ إلى أيّ حدّ يمكن اعتبار العلوم والمعارف أدوات خادمة للتقدم الإنساني؟ وما دور شركات الإنتاج الرأسمالي في توجيه المعرفة لتحقيق أرباحها وبسط نفوذها على الأسواق؟ هل يمكن تصديق والاعتقاد في مقولة "المعرفة في خدمة الرفاه البشري" و"التقدم التاريخي للإنسان"؟

1 - في الطبيعة المتحيّزة للمعرفة

قال أوغست كونت ذات يوم (Savoir c'est pouvoir)،⁴ ومعناه أنّ المعرفة هي سلطّة. والواقع أنّها كذلك، إذ لم تعد، منذ العصر الحديث إلى اليوم، مجرد قدرة للعقل على استيعاب وإدراك ما يدور حوله من أشياء وحقائق، أو ذلك الوعي الذاتي بالعالم باعتبارها موضوعا يمكن إدراكه وفقا لقوانين موضوعية ومفاهيم إجرائية. بقي هذا المعنى توصيفا أوليا يفيد إبراز كيفية الحصول على المعلومات واكتسابها من خلال القيام بالتجارب والملاحظة والتأمل، أو عن طريق مراقبة ما يقوم به الآخرين والاطلاع عليه والتمعّن في ما يتوصلون إليه من نتائج يمكن الاستفادة منها ومشاركتها الآخرين.

لقد كفت المعرفة، إذًا، عن أن تكون فقط مقدار من المدركات المتاحة عن طريق توظيفهم لعقولهم وسرعة البديهة لديهم، أو مجرد سعي دؤوب لديهم في البحث عن الأشياء المجهولة لهم لاكتشافها، ومن ثمّ تنمية قدراتهم الفكرية والذهنية لصالح تحقيق تقدّم عام في الثقافة والحضارة الإنسانية؛ بل أصبحت كذلك وسيلة للقهر والغزو والسيطرة وإخضاع الآخرين.⁵

افتتح فرانسيس بيكون العصور الحديثة باعتبار "المعرفة سلطّة"، ولم يعمل ديكرت، بعده، سوى على تجذير هذه الفكرة رافعا بذلك المعرفة العلمية إلى مستوى نظرية التحكّم المطلق في الطبيعة عندما أعلن في القسم السادس من "المقال

³ هناك مجموعة متنوعة من التيارات الجديدة والنقدية للفلسفة والحداثة والعقلانية، من قبيل النقد النسوي والنقد المضاد للعنصرية وتيارات ما بعد حداثة وما بعد استعمارية، ترمي إلى الكشف عن انحياز المفاهيم الفلسفية التي تعرض على أنّها كونية، حيث غالبا ما تكون مشبعة بالأيديولوجيات في ثناياها. أنظر بهذا الخصوص: - أوما ناربان، ساندر هاردنغ: نقض مركزية المركز، الجزء الأول، ترجمة يمني طريف الخولي، منشور في سلسلة عالم المعرفة، العدد 395، ديسمبر 2012.

⁴ - Comte Auguste, Cours de philosophie positive, introduction et commentaire Florence Khodoss, collection philosophie, édition électronique, p44.

In : <http://www.ac-grenoble.fr/PhiloSophie>

⁵ - Simon Tabet, « Zygmunt Bauman et la société liquide »; Sciences Humaine magazine, num 254, décembre 2013.

في المنهج⁶ "أن معرفتنا هي التي تجعلنا سادة على الطبيعة وممتلكين لها." بالتالي يكون مفتتح العصر الحديث قد تخلى العصر كليا عن نموذج توافق الإنسان مع الكون لصالح التحكّم به وتسخيرها، وذلك من مدخل اعتبار الإنسان ذاتا مفكّرة (Sujet pensant)، أو بتعبير بليز باسكال هو مجرد ذلك الغصن المفكّر (roseau pensant).⁷

اقترن ظهور هذا المعنى للمعرفة إلى السطح بقيام العلوم الطبيعية الحديثة خاصّة علم الفيزياء منها. وبالتالي لم تعد يمارس العلم والحكمة من أجل الفضيلة النظرية، كما اعتقد بذلك قدماء اليونان والقروسطيين بعدهم، حيث المعرفة لا تتوخى تطبيقا تجريبيا، وإنّما هي نظر من أجل النظر كنوع من الممارسة الأخلاقية والحكمية. قطعت العلوم الحديثة مع هذا المنظور التقليدي لصالح ما يمكن الاصطلاح عليه ب"إقامة معرفة بديلة" تمكّن الإنسان، بعد ضبطه لقوانين الطبيعة، من أن يقهر الطبيعة باستعمال قوانينها ضدّها لصالح منفعة البشر. فإذا كانت علاقة السلطة بالمعرفة قديمة قدّم تفكير الإنسان نفسه، فإنّ مشكلة المعرفة والسلطة مستجدّة وجديدة بالنظر إلى كونها مستشكلة في سياق الفكر النظري الحديث والمعاصر، خصوصا فيما طرحته بعض التصوّرات النقدية حول المعرفة والقوّة.⁸

روّجت النظرية النقدية لمقولة "تحرير الوجود الإنساني من ظروف استعباده واستلابه"؛ فكان أن دعا ماركس إلى جعل الفلسفة تنتقل من مجرد فهم العالم إلى ضرورة تغييره. لكن مدرسة فرانكفورت النقدية أدركت، بعد قرن من الزمن بعده، أنّ عمليتا فهم وتغيير هذا العالم لا يمكن الفصل بينهما بسهولة. والواضح، إذًا، أنّ المعرفة ليست محايدة في نسق القيم الابستمولوجية والثقافية الحديثة والمعاصرة، وذلك لأنّها تحوّلت لتصبح أداة طيّعة وقابلة للتوظيف الأيديولوجي وكذا الاستثمار السياسي والاقتصادي. وقد ظهرت بوادر الشكّ والريبة لدى العديد من مفكّري النقد الثقافي والسوسيولوجي اللاحقين، خاصّة لدى رواد مدرسة فرانكفورت ولدى بعض المفكّرين المعاصرين، من أمثال: ميشيل فوكو، بيير بورديو، الآن باديو، سلافوي جيچيك، زيكمونت باومن الخ. لقد كان ذلك دليلا واضحا على مدى حضور أفكار ماركس، وحتى نيتشه، حول تحيّر المعرفة الحديثة لخدمة علاقات السيطرة والصراع والهيمنة في الخطاب الأيديولوجية.⁹

الواقع أنّه لا سبيل إلى تجنّب تحيّر المعارف والعلوم الحديثة نظرا لكونها هي ذاتها تمثّل استحوادا وسيطرة في بنيتها الإبيستمولوجية والميتودولوجية. إنّها تنطوي على قيم (القوّة، الموضوعية، الاختزال، الوضوح) تشكّل بدورها عناصر أساسية من المنظومة الثقافية التي تولّدت عنها ونمت (أيديولوجيا العقلانية والتنوير والتقدّم التاريخي).¹⁰ وهذه المنظومة الثقافية هي ما يتم البحث عن تجاوزه رغم استحواد أيديولوجيا السوق على مبرّرات تفكيكها فيما يمكن نعتة بما بعد الحداثة التي

⁶ -Descartes René, Discours de la méthode. Édition électronique (ePub) v.: 1,0: Les Échos du Maquis, 2011, p.38. Le texte: « Elles m'ont fait voir qu'il est possible de parvenir à des connaissances qui soient fort utiles à la vie; et qu'au lieu de cette philosophie spéculative qu'on enseigne dans les écoles, on en peut trouver une pratique, par laquelle, connaissant la force et les actions du feu, de l'eau, de l'air, des astres, des cieus, et de tous les autres corps qui nous environnent, aussi distinctement que nous connaissons les divers métiers de nos artisans, nous les pourrions employer en même façon à tous les usages auxquels ils sont propres, et ainsi nous rendre comme maîtres et possesseurs de la nature. » (Sixième partie).

⁷ -Blaise Pascal, Pensées : L'homme est un roseau pensant, (Liasses I-XV), Collection Folio Sagesses, édition Gallimard, Paris, 2016, p.78.

⁸ Jean-Marc Lévy-Lebond, Auto-critique de la science. Ed Seuil, Paris, 1973, p.87.

⁹ -Hannah Arendt, La crise de la culture; éd Gallimard, Paris, 1972, p.164.

¹⁰ Jacques Testart, L'humanité au pouvoir. Comment les citoyens peuvent décider du bien commun, Seuil, 2015, p.145.

ليست سوى استمرارية لنفس المنظومة لكن هذه المرة بشكل متطرف نزع نحو سحق كل شيء تحت غطاء التوجهات النيوليبرالية لعولمة قيم السوق الاستهلاكية.¹¹

2 - المعرفة باعتبارها سلطة اجتماعية وثقافية

حاولت النظريات الفكرية المعاصرة للسلطة الربط بين إرادة الهيمنة وتملك المعرفة الضرورية للسيطرة وبسط النفوذ والهيمنة. تجد علاقة القوة والسيطرة بالمعرفة دلالتها الواضحة في ما يمكن الاصطلاح عليه بالمجال الواسع لتحالف المعرفة والسلطة، حيث احتكار التقنيات المتطورة في ميدان الدواء والعلاج والتسليح والفلاحة والهندسة الدقيقة لغزو الفضاء، وما إلى ذلك من الميادين التي تحتدّ فيها المنافسة بين الأفراد والدول والشركات.

تخفي المعرفة القوة التي تنطوي عليها، وهذا ما يبرزه الواقع الذي تنكشف فيه تلك السيطرة التي تسمح بها لمن يمتلكها. المعرفة هنا تجسيد كمي ونوعي للقوة التي سبق أن تمّ الاستحواذ عليها بعنف التأويل من طرف العارفين بها. ولعلّ العالم المسكون بقوى شتى تتناحرف فيه بغية الاستحواذ على كميات السلطة فيه، ما هو إلاّ التجسيد الضروري لسيادة القوة والسيطرة في بنيتها.¹² ولئن كان معنى الشيء هو هذه القوة التي تستحوذ عليه وتُخضعه، عندها نفهم لماذا يسكن الصراع عمليات إنتاج المعاني حيث القوة لا تنصبّ إلا على قوة مضادة أخرى. وبالتالي، يصبح كلّ معنى غير معطى بشكل مباشر وأوليّ إلا إذا كان قد تمّ في صيغة عنف تأويلي يريد أن يستحوذ بقوة على تأويل آخر سبق وأن وُجد من ذي قبل، فيقلبه ويقلّبه، بل وينزل عليه الضرب للسيطرة عليه أو الغائه.

تدخل القوة، إذًا، في نسيج المعرفة وتسكن قلبها، فهي لا تشكل تطبيقًا لها وحسب كما يمكن أن يعتقد للوهلة الأولى. إنّها لا تتجلى في تطبيق المعرفة فسحب، وإنما هي في قائمة ثنائياها، وما الصراع بين التأويلات سوى تجلّ من تجلّيات الصراع بين الإرادات والفئات والطبقات، يتولد عن التوظيف الإيديولوجي للمعارف. لذلك، يمكننا النظر إلى المعرفة العلمية بوصفها تشتمل ليس فقط على قيم نظرية خالصة (مقولات المنطق والعقل والتجربة). وإنّما أيضا تدخل وتمتج معها القيم الاجتماعية والاعتبارات الأديولوجية، بالتالي التداخل بين ما هو معرفي وما هو اجتماعي في المعرفة العلمية.¹³

الظاهر أنّه لم يعد الحديث عن هذا حياد العلم المطلق مقبولًا منذ ظهور مبدأ الارتياح في الفيزياء (حيث لا يوجد في الواقع سوى ما نقمحه فيه). وأما لدى أصحاب التوجه الاجتماعي في العلوم الإنسانية والفلسفة، فقد تغيرت مفاهيم الموضوعية الخالصة لديهم وحل محلها مصطلح جديد هو "البيندائية" المعروف بعبارة (Intersubjectivité) الذي يعني التداخل بين الذات العارفة وموضوع دراستها. ومن الجيد أن تسعى العلوم نحو الحياد والموضوعية قدر الإمكان، من أجل التطوير والتحسين المستمر في نظريات العلم، لكنها لا تستطيع أن تدّعي خلوها التام من التوجهات والقيم الاجتماعية ومختلف أشكال التحيزات وعلى رأسها خدمة السلطة والقوة.¹⁴

¹¹ -Arjun Appadurai et Zygmunt Bauman, L'Âge de la régression, essai collectif à l'initiative d'Heinrich Geiselberger, éditions premier parallèle, Paris, 13 avril 2017, p.64.

¹² - جيل دولوز، المعرفة والسلطة، مدخل لقراءة فوكو؛ ترجمة سالم يفوت، الطبعة الأولى، نشرة المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، سنة 1987، ص 79.

¹³ - ستيوارت سيم، بورين فان لوبن: أقدم لك النظرية النقدية؛ ترجمة جمال الجزيري، نشرة المشروع القومي للترجمة، الطبعة الأولى، من المجلس الأعلى للثقافة بمصر، القاهرة، سنة 2005، ص 118.

¹⁴ - Maurice B. Line, « Savoir c'est pouvoir, or le pouvoir est dangereux ». Bulletin des bibliothèques de France (BBF), 1991, n° 4, p. 268-279.

تحقق هذا الأمر بفعل ظهور العلوم والمعارف الحديثة التي قطعت مع المنظور الأخلاقي للمعرفة في المنظومة الابدستيمولوجية الكلاسيكية للعصور القديمة كان ينبغي زحزحة مفهوم السلطة عن معناه التقليدي وانزاعه من الاحتكار الذي كان الفكر السياسي يمارسه عليه، وذلك لجعل القوة تقع في قلب المعرفة وداخل نسيجها، وبالتالي إقحام التسلط والاستحواذ في عملية المعرفة ذاتها. ولفعل هذا الأمر، لزم تنقية مفهوم السلطة من رواسب سياسية ولاهوتية ظلت مقترنة به، وجعلته يحيل على تراتبية قمة الهرم كما فهمه المنظور السياسي التقليدي المحتكر الحديث عن السلطة.¹⁵ لم تعد السلطة بهذا المعنى تحمل دلالة سياسية حصراً، ولا هي تشير فقط إلى موقع معين يمثل رأس هرم الدولة. لقد تجاوزت نظرية السلطة المعاصرة هذه الدلالة المحصورة في المعطى السياسي فقط، حيث التموقع السياسي هو ما يقسم المجتمع إلى من يمتلك السلطة ومن لا يمتلكها. تطرح في هذا السياق إن علاقة المعرفة بالسلطة، التي هي موضع السؤال لدينا، لم تعد تطرح ضمن نطاق ضيق (نظرية الدولة والحكم) هو نطاق الدولة؛ وإنما هي تشمل مختلف مناحي الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية، وبصفة خاصة المحددات الثقافية للمعرفة، أو ذلك الذي يمكن نعتة بالأطر الاجتماعية للمعرفة.¹⁶

من جانبه، سعى اتجاه التحليل النقدي للخطاب إظهار تلك العلاقات الوثيقة بين اللغة والسيطرة، وعمل على سحبها لتطال علاقة المعرفة بنظرية السلطة عبر نقد أيديولوجيا الهيمنة والسيطرة. يقول ميشيل فوكو بهذا الخصوص: «أفترض أن إنتاج الخطاب، في كل مجتمع، هو في الوقت نفسه إنتاج مراقب، ومنتقى، ومنظم، ومعاد توزيعه من خلال عدد من الإجراءات التي يكون دورها هو الحد من سلطاته ومخاطره، والتحكم في حدوثه المحتمل، وإخفاء ماديته الثقيلة والرهيبية».¹⁷ بهذه الطريقة، تتحول المعرفة في دوائر إنتاجها والتحكم بها (المؤسسات والدول والشركات) من مجرد بحث أكاديمي ينجز ضمن دائرة المهتمين المتخصصين في الجامعات والمعاهد العليا إلى وسيلة فعالة لكسب الربح وبسط النفوذ والسيطرة على الآخرين.¹⁸

الواقع أن امتلاك المعرفة كامتلاك الأداة التقنية الفتاكة التي تساعد على التحكم كل شيء: في الطبيعة والمجتمع والمؤسسات، من خلال الممارسة العلمية النظرية والهندسية كما تنهجها المؤسسات التقليدية (الجامعات، المعاهد، ثم الشركات الكبيرة). ولما نُظر إلى المعرفة من المنظور الربحي على أساس أنها رأسمال فكري يمكن أن يدر دخل كبيراً كلما تمّ رفع نسب الاستثمار فيه، وذلك للحصول على تنمية غير مرهونة بندرة الموارد كما كان الشأن في ظلّ نمط الإنتاج الأفلاحي والصناعي التقليدي. تمّ إهمال التحليل النقدي العميق لدور مؤسسات التعليم في نسق الإنتاج الاقتصادي الكلاسيكي، إذ ماعدا الثورة الشبابية لطلاب الجامعات الفرنسية في ستينات القرن الماضي، الذين كان لهم بعض الارتباطات الضمنية ببعض المنظرين اليساريين ونقاد مدرسة فرانكفورت، كان هنالك نوع من الإهمال لفضح دور المؤسسات التعليمية في تكريس هيمنة توجهات معرفية معينة. وقد نسب هذا الإهمال ببساطة للدور الهامشي نسبياً للتعليم العالي بالذات في تشكيل الالتزامات الأيديولوجية الواسعة في أواخر الخمسينات من القرن الماضي.

لكن ومنذ أواخر القرن العشرين وبداية الألفية الثالثة بدأ الاقتصاد الغربي يعتمد اعتماداً كلياً على أولئك الذين يسمّيه نيتشه "عمال المعرفة"، وهم الذين تلقوا تعليماً جيداً في أرقى الجامعات الغربية والأمريكية ليخدموا مؤسسات الإنتاج

¹⁵ - Michel Foucault, L'archéologie du savoir, édition Gallimard, Paris, 1969, p179.

¹⁶ - François Jarrige, Face au monstre mécanique; Une histoire des résistances à la technique. Edition Imho, coll Radicaux, 2009, p.110.

¹⁷ - ميشيل فوكو، نظام الخطاب، ترجمة محمد سبيلا، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2007، ص.8.

¹⁸ - Heinrich Geiselberger, L'âge de la régression; tr par Frédéric Joly, Jean-Marie Saint-Lu ; éd Gallimard, éd Premier Parallèle, 2017, p.65.

دراسات مدكمة: تحالف المعرفة والسلطة

وإعادة الإنتاج الرأسمالية وديمومة النظام الاقتصادي والمالي القائم.¹⁹ وتبدو مساحات شك جديد قد بدأت تتسع بعد الأزمة الاقتصادية الأخيرة (2008)، مما يندر بموجة جديدة من النظرية النقدية لاحتكار المعرفة واستغلالها للمزيد من الهيمنة والسيطرة على كلّ مقدّرات العالم. من الواضح أنّ العولمة الاقتصادية الحالية قد بدأت تصطدم بحدودها الأخلاقية والإنسانية والبيئية، وهذا في حدّ ذاته باعث قويّ على بداية مراجعة سردية "المعرفة سلطة وتحكّم"، وذلك بالنظر إلى الخلل الوظيفي المتزايد في التفاعل بين إنتاج المعرفة والهيمنة المعولمة لشركات النخب المسيطرة.²⁰

3 - المعرفة باعتبارها أداة للسيطرة في النزعة الاقتصادية

إنّ الاقتصاد الذي يعتمد على صناعة وتداول وتقييم المعرفة تقلّ فيه الأهميّة المترتبة على تكاليف العمالة، ولا يستخدم فيه تلك المفاهيم التقليدية للاقتصاد، مثل: شحّ الموارد، كلفة الإنتاج.. الخ وإنّما يُعرّف بكونه نوع من أنواع الاقتصاد الذي يعتمد نموّه على نوعيّة وكميّة المعلومات المتاحة والقدرة على الوصول إليها؛ أي أنّه يبني على المعارف المستجدة. كما تمّ بناء القطاعات الاقتصاديّة الحديثة على فكرة المعرفة، والاتصالات، وتكنولوجيا المعلومات التي ساهمت بحدوث تطور كبير بالنشاط والفكر الإنسانيّ في كافة المجالات؛ إذ لم يبقّ كل من النفط والذهب يسيطران على الصناعة التقليدية، بل أصبحت إمكانيّة إنتاج برامج معلوماتيّة إحدى أولويّات القطاعات الاقتصاديّة الحديثة. ولقد عدّ كلٌّ من الإبداع والمعلومات والذكاء والمعرفة التقنية من المكونات الأساسيّة للإنتاج الثروة.

تعتقد الأطروحة الناقدة لهذا للمنظور الربحي للمعرفة، النابع من سيادة النزعة الاقتصادية، بأنّ المعرفة في جوهرها حقّ كوني لكل الناس. فلذلك، من شأن ربطها بسيرورات الإنتاج والاستهلاك أن يفقدها هذا الجانب القيمي. وخلافاً للتوجهات النيوليبرالية للمعرفة والاقتصاد، حاول بعض النقاد من نظّار المجتمع ما بعد الحداثي، السائد في الغرب أساساً، كسر الإجماع الذي تحض به فكرة ربط المعرفة بالاقتصاد لتجاوز محدودية الموارد وتعويض شحّها بالابتكار والإبداع في مجال الإنتاج العلمي التقني والمعرفي. ظلت هذه الدعوى القائلة باستغلال المعرفة في استدامة النمو الاقتصادي بتصورات كلاسيكية لعقلانية الأنوار الغربية المتواطئة مع النزعة الاقتصادية الصاعدة بعد الثورة الصناعية الأولى التي نظرت إلى الطبيعة على أنّها موضوع للسيطرة والغلبة والتحكم. لكن، لقد ثبت اليوم محدودية هذه الدعوى رغم ما تدّعيه من عقلانية وبنفعة، حيث ظهر لنقاد الليبرالية الرأسمالية كيف أنّ تحالف المعرفة والسلطة لا يعمل إلاّ على تبرير منافع الفئات المسيطرة في المجتمعات المعاصرة.²¹

¹⁹ - يمكننا الاستشهاد هنا بتجربة تيودور أدورنو (Adorno) عندما كان يبحث حول موضوع استهلاك برمجة الاذاعة مباشرة بعد الحرب العلمية الثانية، فأخبر مدير المشروع، آنذاك، بأنّه لكي يكون علمياً، ينبغي له أن يتقيّد في بحثه بالمنهجية الكمية لقياس وتحديد المقادير والتغيرات في البرمجة وتلقي المستمعين. وقد كان ردّ أدورنو سلبياً، مستشعراً خطورة هذا النوع من البحث. اعتبر، مثله مثل مفكرين آخرين مثل ماكس هوركهايمر وهوربرت ماركيز، سيادة البحث الكمي خطراً من شأنه أن يختزل الحياة في مجرد أرقام. وقد يشكّل ذلك منطلقاً للسيطرة على ميول الناس والعمل على توجيهها بأغراض محدّدة سلفاً، وهذه المنهجيات الموضوعية تخدم بيروقراطيات معيّنة هدفها السيطرة على حياة الناس. لقد كشف أدورنو، بناءً على ذلك، أنّ الأفراد في المجتمعات الغربية قد غدوا، شيئاً فشيئاً، أهدافاً للمعرفة بدلاً من أن يكونوا فاعلين حقيقيين فيها؛ حيث أصبحت المعرفة في خدمة قوى الإنتاج المادية التي تنبغي بها الاستهلاك إلى الحد الأقصى. ولعلّ أهم ما كشفه أدورنو هنا هو أنّ التوحيد المفترض للعلم من خلال المنهج له علاقة أكثر بإدارة العالم بدلاً من فهمه. أنظر بهذا الخصوص:

- مايك كرانغ: الجغرافيا الثقافية؛ ترجمة سعيد منتاق، نشرة عالم المعرفة، العدد 317، يوليو 2005، ص 238.

²⁰ - Heinrich Geiselberger, L'âge de la régression, op, cit., p.176.

²¹ - Charline Zaitoun, « La science est-elle en crise ? », l'article est dans le site web:

حقّر هذا التوجّه النقدي لدى مدرسة فراكفورت بالتحديد منظورات جديدة ومختلفة، وكان أساس دعاوي نقدها مراجعة وإسقاط الخلفية الأيديولوجية البورجوازية لعقلانية الأنوار المستبدة بالطبيعة والمجتمع والاقتصاد. أُطلق على هذا المنظور الجديد: تيار الجنوسة والبيئة والتنمية المستدامة. وهو تيار فكري انتقادي ينهض بنقد الفكر التنموي الاقتصادي البرجوازي من خلال ردّ النزعة الاقتصادية الحديثة إلى العلم الحديث بما هو نزعة للسيطرة والهيمنة على الطبيعة والمجتمع.²²

بحسب هذا التيار النقدي الجديد، لا يمكن حفظ الطبيعة ولا تعزيز الحياة الاجتماعية للناس ما لم يتمّ تجاوز الخلفيات الأيديولوجية للعقلانية الأنوارية، سواء في الاقتصاد، أو في العلم، أو في السياسة؛ خاصّة فيما يتعلّق بمحورية العقل ومركزية الذكورة والتمركز حول الثقافة والنموذج الغربيين لحياة الاجتماعية. وفي سبيل ذلك، اعترض هذا التيار النقدي على المنظور الحدائي للمعرفة والاقتصاد من خلال تبنيّ دعوى مضادّة مفادها القول بأنّ فلسفة الأنوار الحديثة هي عبارة عن أداة شرسة لتدمير البيئة. وقد حاول هذا التوجّه النقدي الجديد أن يقيم الدليل على دعواه هذه مدليا بمجموعة من الحجج التي نجملها في:

- إن النموذج التنويري للطبيعة والعلم لا يمهّم سوى التحكم في الطبيعة والبيئة قصد استغلالها، وهو بهذا الفهم يكون مُقَادًا بتصورات فلسفية وميتافيزيقية تعتبر مبادئ الطبيعة خارج نطاق سائر الثقافات الإنسانية، بحيث لا يمكن تعيين أو تفسير نظامها الفريد إلا من خلال علم ذي صحة كونية ومن ثم مشروعية الدراسة الموضوعية للطبيعة والتعامل معها على أنها موضوع قابل للاستغلال إلى ما لانهاية.
- لا تسمح الفلسفة الأنوارية الحديثة بتفسير العلوم وفلسفاتها على ضوء الثقافة الاجتماعية التي أنتجتها؛ إذ تزعم أنها موضوعية وكونية، ومن ثم تريد أن تتعالى على الأيديولوجيا والمصلحة والثقافة التي أنتجتها، في حين تبقى في عمقها وليدة الظروف التاريخية والاجتماعية التي نشأت فيها.
- تعتبر فلسفة الأنوار الحديثة مسؤولة عن ترسيخ دعائم فلسفة خرقاء للطبيعة والبيئة، إذ لا تحمل في نموذجيتها شروط إمكان فهم الطبيعة خارج دائرة الموضوعية، من ثم فهي محكومة بهاجس التحكم فيها واعتبار الإنسان سيدها ومستغلها.

تقيم التوجّهات المعارضة والناقدة للنزعة الاقتصادية، ممثلة في تيار الجنوسة والتنمية المستدامة، الحجج المعارضة لفكرة ارتباط الرفاه والتقدم الإنسانيين بالتحقيق الدائم للنمو الاقتصادي، معتبرة ذلك خطرا داهما على الطبيعة والبيئة والإنسانية عامّة. والواقع أنّ هذا الاعتراض يسائل بقوة حدود العقلانية الكلاسيكية (الحداثة والأنوار)، ومن ثمّ يلزم تحرير الطبيعة من قبضة الآلة الإنتاجية للاقتصاد الاستهلاكي القائم على جعل المعرفة أداة للسيطرة على الطبيعة لا غير.

4 - إسقاط أسطورة التقدم وكشف وهم الرفاه الموعود

وبعد انتصار النزعة الاقتصادية في فرض تصورات معينة للتقدم «le progrès» والرفاه الاجتماعي، أصبح الفهم المعاصر للتنمية البشرية مختزلا في زيادة النمو والربح المادي لا غير.²³ كما غدت الرأسمالية الصناعية سيدة هذا الموقف،

<https://lejournal.cnrs.fr/articles/la-science-est-elle-en-crise?vu> le 15.01.2019 dans le Journal CNRS. FR

²² - Dany Rober Dufour, L'individu qui vient après le libéralisme, collection Folio essais, édition Denoël, Paris, p.143.

²³ - Charline Zaitoun, « La science est-elle en crise ? », dans le site web:

- <https://lejournal.cnrs.fr/articles/la-science-est-elle-en-crise?vu> le 15.01.2019 dans le Journal CNRS. FR.

حيث تولدت عنها ديكتاتورية السوق الحرة الساعية إلى توجيه القيم وتمثيلات الناس لذواتهم والعالم. كما راح التفكير في رفاه الجمهور حدود زيادة الإنتاج والاستهلاك الماديين؛ والظاهر أنّ المنظور التنموي المحكوم بهذا الاعتبار يشكّل خطراً حقيقياً على كلفة الموارد الطبيعية المحدودة في كوكب الأرض؛ حيث لم يعد بإمكان الطبيعة أن توفر الموارد الكافية لدعم احتياجات سكان الكوكب الأرضي المتزايدين باضطراد ما لم يغيروا من عاداتهم الاستهلاكية المتطرّفة.

لكن الطبيعة المستنفدة أصبحت هي نفسها التي تضع الحدود أمام مقولة "نمو الاقتصاد" الأثرية التي تحوّلت إلى شرط لازم لتحقيق رفاه وتقدم البشرية. وانطلاقاً من هذه المفارقة الإيكولوجية الصارخة، تعالت الأصوات منتقدة النزعة الاستهلاكية المتطرّفة؛ وبدأ السؤال يطال المفاهيم الاقتصادية والسياسية المروّجة لفكرة الرفاه الدائم عبر النمو المطرد لمؤشرات الاقتصاد.²⁴ ولقد وضع التوجّه المعرض للنزعة الاقتصادية نصب اهتمامه التعارض الصميم بين الإنتاج / الاستهلاك وفكرة الرفاه الدائم المناقضة لاستدامة الموارد الطبيعية.

وهكذا كشفت التصدّرات المعارضة للنزعة الاقتصادية المتطرّفة مدى تجاهل هذه الأخيرة للمفاهيم الأخرى للخير (الاعتدال، التقشّف، الاستدامة، الرشاقة، تديب الندرة...) التي تستحق أن تكون لها الأولوية والاعتبار في إعداد تصوّرات بديلة كفيلة بتأهيل عالمنا المعاصر تجنّباً لوقوع الكارثة البيئية.²⁵ والظاهر من هذا الأمر ضرورة تغيير المنظور الاستهلاكي الحالي لصالح منظورات معتدلة تأخذ بالاعتبار المحافظة على البيئة واعتماد تصورات خفيفة رشيقة ومعتدلة للرفاه الاقتصادي والتقدّم الاجتماعي.

عملت طفرة الإنتاج الاقتصادي المعاصر على إزالة الحدود وتذويب الفجوات الزمانية والمكانية من خلال عملية تشييء واسعة للموارد والقيم وتسليعها في صيغ نسبية قابلة للتبادل المريح.²⁶ أفقدت هذه العملية الثقافة والعلاقات الانسانية الكثير من ضوابطها المعنوية، وجعلت معاني الحياة البشرية منسلخة عن أبعادها الأصيلة والأخلاقية. وقد استخدم السوسولوجي زيكمونت باومان توصيف "السيولة"، في سلسلة كتبه النقدية للحدثة، لإفادة دلالة "الميوعة" التي طالت مختلف مناحي حياة الرفاه الموعودة. وكان مقصوده من ذلك وصف مُيوعة كلّ مظاهر الحياة المعاصرة: المشاعر والعلاقات والمعاني المقترنة بعدم التحديد، الخ.²⁷

كان زيكمونت باومان عميقاً في وصف الحالة التي استحالت إليها الثقافة المعاصرة، من فيض التحولات المختلفة والفاقد لأيّ ضابط من الضوابط الأصيلة لوجودنا البشري حتى أصبح قاسمها المشترك استهلاك كل شيء بما في ذلك القيم والمشاعر. أصبح الإنسان بدون وجهة نتيجة تزييف الوعي التي تعرّض ولا يزال يتعرّض لها من خلال الدعاية عبر أيديولوجية الآلة الاستهلاكية. لذلك، لم يعد بإمكاننا العودة إلى الوصاية الفكرية كخيار استراتيجي بالنسبة لنمطه عيشه. الأخطر من ذلك كلّ أنّ آمال النضج قد غدت لاغية وباطلة اليوم، وذلك بفعل عمليات التحديث الثقافية والحضارية التي انخرطت فيها أساليبنا المعاصرة في العيش.²⁸ لذا، فقد يصاب المتأمل لهذه الوضعية باليأس جزاء حجم التدمير والاستلاب الذي أوصلتنا إليها النزعة الاستهلاكية في كثير من مناحي حياتنا المعاصرة. وهذه الوضعية الحضارية العامة ما كان لها أن تكبر

²⁴- ليزا بورتولوتي، السعادة والفلسفة، ترجمة أحمد الأنصاري، مراجعة حسن حنفي. المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة 2013، ص 252-254.

²⁵ - Dany Rober Dufour, Le Divin marché, collection Folio essais, éd Gallimard, Paris, 2011, p.87- 88.

²⁶ - Gilles Lipovetsky, Le Crépuscule du devoir; éd Gallimard, Paris, 1992, p67.

²⁷- زيكمونت باومان، الخوف السائل؛ ترجمة حجّاج أبو جبر وتقديم هبة رءوف عنز؛ الطبعة الأولى، نشرة الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، 2017، ص 87.

²⁸ - Heinrich Geiselberger, L'âge de la régression; tr par Frédéric Joly, Jean-Marie Saint-Lu ; éd Gallimard, éd Premier Parallèle, 2017, p.38.

دراسات مدكمة: تحالف المعرفة والسلطة

وتتخذ هذا الحجم الكبير لولا ارتكازها إلى سند العلم والمعرفة الموضوعية التي تُصوّرت من منطلقات ميتافيزيقية وضعية وتحكّمية.²⁹

استثمرت التصوّرات التحكّمية المعرفة العلمية باعتبارها تقنية غير نهائية لتخصيب الطبيعة، وكان وراء هذا المنظور معتقد أيديولوجي قضى باعتبار العلم معرفة موضوعية مجردة من كلّ تحيّر، مدّعية الاستقلالية عن المواقع (المؤسسات) التي تنجز وتصنع فيها. لكن الواقع يشي بأنّ المؤسسات البحثية والأكاديمية المعروفة قد أصبحت مرهونة للرأسمال الخاص، بالتالي أصبحت آخر المعارف المستكشفة تحت تصرّف الشركات الممولة وشبكات المنتجة للثروة المحركة للاقتصاد. هكذا، تحوّلت المعارف إلى تقنيات يتم استثمار الأموال فيها لكي يستفاد منها في عملية الإنتاج والتسويق فيما بعد، وتحولت المعرفة من طابع أكاديمي بحث إلى تقنيات للاستعمال التجاري للريح والسيطرة والهيمنة. فهل يعني هذا أن الباحثين قد تحوّلو إلى جيوش متحيزين للألة الإنتاجية أو لدوائر التحكّم والسيطرة والنفوذ؟

يظهر أننا لم نعد نستطيع تأكيد الموقف الإيجابي من المعرفة ومن الباحثين الذين ارتموا في أحضان الرأسمال بداعي الخبرة والتخصّص حتى لو لم يكون الكّل متحيزًا كما هو مؤكّد. الإشكالية، هنا، هي أن المعرفة، بطبيعتها، تسمح بخدمة الاعتبارات الأيديولوجية ونزوعات السيطرة والهيمنة؛ وهذه المسألة تبقى مطروحة حتى في العلوم الدقيقة والميكانيكية.³⁰ يطعن هذا الأمر فيما سبق وأن أعلنه فرانسيس بيكون شعارا للعصر الحديث في عبارته الشهيرة "المعرفة سلطة". ولقد تبين مع مستجدات النظر والمنهج في هذه الألفية الجديدة بأنّ نوع المعرفة التي لدينا لم تعد معرفة تحررية، حيث بقيت بلا سلطة غير سلطة المال.³¹

5 - آفاق جديدة لتجاوز المشكلة

اقترح إريك فروم بخصوص هذا الترشيح، أن تتولى الدولة توجيه الناس نحو طريقة راشدة في الاستهلاك عبر التربية والتعليم، لأن تغيير أنماط الناس وعوائدهم في الإنتاج والاستهلاك لا يتم بمجرد تشريع قانون أو مرسوم لحث الناس على شيء ما؛ بل يتأتى أساسا من خلال عمل تاهيلي تربوي طويل الأمد يسمح لهؤلاء باستبدال أساليبهم وأنماط عيشهم وفق أنموذج رشيد للاستهلاك يقوم على معايير صحية وإنسانية حقيقية. غير أنّه لتحقيق ذلك، يتعين على حكومات بلدان العالم أن تحدّد بوضوح معايير الاستهلاك الرشيد في مقابل الاستهلاك المرضي والاعتباطي السائد. وكمثال على ذلك، يقدم "فروم" أنموذج تحديد ما هو ملائم لدعم قوى الحياة وتمييزه عمّا هو مدمر لها عبر أبحاث العلماء وتوجهات المختصين والخبراء في مجالات التغذية والزراعة والتصنيع التي ينجزونها للهيئات الحكومية والدولية.

إنّ الاستهلاك العقلاني المصاحب بنوع من الغائية الأخلاقية، أو بعبارة "فروم" ب"الاستهلاك الرشيد"، لهو أمر ضروري لتجنب الوقوع في براثن النزعة الاستهلاكية السالبة للوعي والإرادة. وقد ظهر أنّ ذلك لا يتم إلا إذا ما تأتى لنا حسن الانتقال من السؤال: عمّا يجب فعله لخير النظام الاقتصادي وتنميته؟ إلى طرح السؤال عمّا هو هذا الذي يتوجّب علينا

²⁹ - Serres Michel, Le Contrat naturel, Paris, François Bourin, 1990, p.87.

³⁰ - هناك من يطرح مسألة دراسة التنظيم الأخلاقي للعلم كثقافة تكافئ الاجتهاد وتنمّنه، بل وتعتمد على الثقة في احترام أفكار الآخرين. قد يسمح ذلك بتقييم المعرفة وتحديد قيمة الأفكار من قبل باحثين نقديين آخرين. ويعني هذا أنّ الأفكار والقوانين ليست منعزلة ولكنها تحدّد أهميتها من قبل جماعة من الخبراء. هناك حاجة إلى نقد المعرفة وإعادة تقييمها.

³¹ - يظهر أنّ الطموح العظيم الذي كان عند العالم الغربي في لحظة من لحظات الزمن لتعليم شعبه ليصبحوا مواطنين أحراراً منتجين للديمقراطية هؤلاء المواطنون تحوّلوا ويا للسخرية من خلال التعليم التعالي إلى رقيق بمرتب وديون لنظام المال العالمي الذي تديره مصالح السادة الجدد لأجلها هي نفسها.

فعله لخير البشرية وسعادتها؟ بصيغة أخرى، لا يمكننا تحقيق سعادة إنسانية حقيقية ما لم نتجاوز الفهم المختزل للرفاه الاجتماعي في تملك المقتنيات واستهلاك المنتجات بدون حدود.

ثبت مع هذا الأسلوب، بشكل ملموس، مدى الضرر الذي تتسبب فيه النزعة الاستهلاكية للشروط البسيطة للحياة الطبيعية السليمة على الأرض. ولأجل تحقيق هذا الانتقال (القطيعة مع التوجه الاستهلاكي)، يقترح "فروم" إحداث تبدل في قيم المستهلك واتجاهاته إلى أن تحدث لديه تغيّرات جوهرية في توجّهات شخصيته وبنائها القيمي، كأن تظهر أخلاقيات جديدة للبيئة من خلال اتخاذ مواقف متوازنة تجاه الطبيعة، كما دعا إلى ذلك الاقتصادي "أ. ف. شوماخر" فيما يستى عنده بضرورة التغيير الجذري في الشخصية الإنسانية من أجل تجاوز الكارثة الاقتصادية التي يتجه إليها النظام الاجتماعي المعاصر القائم على الاستهلاك.³²

إنّ بقاء الحياة الخيرة واستمرارية الجنس البشري على الأرض لم يعد مجرد استجابة للمتطلبات الأخلاقية والدينية التقليدية المعروفة؛ بل أصبح، ولأول مرة في التاريخ، يتوقف على إحداث تغيير جذري في وجدان وعقل الإنسان وسلوكياته وأنماط عيشه. لكن إحداث هذا التغيير يلزم أن يطال قلب النزعة التحديثية الأنوارية التي تشكل الخلفية النظرية والأيدولوجية للتصنيع واعتبار العلم قوة تحكّم لانهائية للسيطرة. يمكن ذلك متى بدأنا بالكف عن اعتبار العلوم محايدة، وبالتالي اعتبار المعرفة العلمية تعد بشكل ما تعبيراً عن أيديولوجية الصفوة التكنوقراطية، ونجد أهم المنتفعين بها، تلك الشركات عابرة القوميات التي تزداد مسؤوليتها في تمويل البرامج والمشروعات العلمية والتكنولوجية.³³

سنجد حركة معاصرة أكثر راديكالية في منظورها لدعاوى المعرفة العلمية وأطروحاتها تُعرف باسم «البنائية الاجتماعية»، روادها هم بعض علماء الاجتماع والمشتغلين بدراسة ونقد الخلفيات الاجتماعية للعلم. يعتقد هؤلاء أنّ البحث المحايد وراء الحقيقة لم يعد هو هدف المعرفة العلمية، بل أصبح مجرد ذريعة لخدمة أغراض أخرى أبرزها السيطرة والسلطة وسطوة الشركات الكبرى.³⁴ ولهذا يمكننا القول على سبيل المثال إنّ الجسيم الأوّلي في الفيزياء، وكذلك الهرمون المنبه للغدة الدرقية، ما هما إلاّ تصورات خاصة بالعلماء، تُبنى اجتماعياً.

خلاصة

يمكننا القول في محصّلة هذا العرض إنّ المعارف العلمية كفت عن أن تكون مقداراً من المدركات المتاحة للأفراد عن طريق حسّهم السليم (le bon sens) وسرعة البديهة (réflexes)، أو بمجرد سعيهم الدؤوب للتعرف على الأشياء المجهولة، بالتالي اكتشافها وتنمية قدرات الإنسان الفكرية والذهنية لتحقيق تقدّم عام في التاريخ. يقينا، تحوّلت العلوم الناشئة بدخول باراديفم الذات (Sujet) إلى مسرح الفكر النظري، متخذة طابع التحكّم والسيطرة من خلال مقولات العقل الجديدة (السببية والعلية، الموضوعية، القوّة، الفهم، الخ) التي أسست للمنظور التحكّمي على قوى الطبيعة. لذا، فإنّ تحوّل المعرفة إلى قوّة وهيمنة تعمق كثيرا في عصرنا الراهن، خاصّة في دوائر إنتاجها والتحكّم بها (أي مؤسسات البحث الأكاديمية واستثمارات الشركات الكبرى)، وبذلك تحوّلت المعارف العلمية من مجرد بحوث أكاديمية مُنجزّة ضمن دائرة المهتمين المتخصّصين في الجامعات والمعاهد العليا إلى أدوات فعّالة لكسب الريح وبسط النفوذ والسيطرة.

³² - Gilles Lipovetsky, Le Crépuscule du devoir ; op, cit, p65.

³³ - Heinrich Geiselberger, L'âge de la régression; op, cit, p89.

³⁴ - Denis Gautier, Environnement, discours et pouvoir: L'approche Political ecology. Edition Quae, France, 2012, p.23.

ويُستنتج من ذلك أنّ امتلاك المعرفة لم يعد فضيلة وحكمة يسترشد بها في هذه الحياة، وإنما يُعدُّ سلطة يمكن السيطرة بها على كلّ شيء في الطبيعة والمجتمع والمؤسسات. لذلك، لم يعد غريبا أن يتم الاستثمار فيها اليوم من منظورات تحكُّمية ربحية للشركات الكبرى التي تدعم البحوث المعرفية المتطورة تقنيا. والبيّن من هذا التحوّل المفارق في دائرة المعرفة لصالح تنمية الاقتصاد أنّه يلزم عنه حدوث تحوّل في منظور الناس إلها على أساس كونها أداة للسيطرة والهيمنة، بعدما كَفّت عن ان تكون فضيلة أخلاقية كما في الماضي بتحوّلها إلى مجرد رأسمال معرفي يُدرّ الدخل والربح الكبير.

البيبلوغرافيا

- بالعربية:

1. أوما ناربان، ساندر هاردنغ: نقض مركزية المركز، الجزء الأول، ترجمة يمنى طريف الخولي، منشور في سلسلة عالم المعرفة، العدد 395، ديسمبر 2012.
2. جيل دولوز، المعرفة والسلطة، مدخل لقراءة فوكو؛ ترجمة سالم يفوت، الطبعة الأولى، نشرة المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، سنة 1987.
3. ميشل فوكو، نظام الخطاب، ترجمة محمد سبيلا، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2007.
4. مايك كرانغ، الجغرافيا الثقافية؛ ترجمة سعيد منتاق، نشرة عالم المعرفة، العدد 317، يوليو 2005.
5. ستيوارت سيم، بورين فان لرون: أقدم لك النظرية النقدية؛ ترجمة جمال الجزيري، نشرة المشروع القومي للترجمة، الطبعة الأولى، من المجلس الأعلى للثقافة بمصر، القاهرة، سنة 2005.
6. ليزا بورتولوتي، السعادة والفلسفة، ترجمة أحمد الأنصاري، مراجعة حسن حنفي. المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة 2013.
7. زيكمونت باومان، الخوف السائل؛ ترجمة حجّاج أبو جبر وتقديم هبة رءوف عزت؛ الطبعة الأولى، نشرة الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، 2017.
8. هوركهايمر، أدورنو، جدل التنوير، شذرات فلسفية؛ ترجمة جورج كتورة، الطبعة الأولى، عن دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت-لبنان، يناير 2006.

- باللغات الأجنبية:

9. Arjun Appadurai et Zygmunt Bauman, L'Âge de la régression, essai collectif à l'initiative d'Heinrich Geiselberger, éditions premier parallèle, Paris, 13 avril 2017.
10. Blaise Pascal, Pensées: L'homme est un roseau pensant, (Liasses I-XV), Collection Folio Sagesses, édition Gallimard, Paris, 2016.
11. Catherine Halpern, « Cartographie des pensée critiques » ; in Sciences Humaines, num 260, Mai 2014.
12. Comte Auguste, Cours de philosophie positive, introduction et commentaire Florence Khodoss, collection philosophie, édition électronique.
13. Charline Zaitoun, « La science est-elle en crise ? », dans le site web: <https://lejournal.cnrs.fr/articles/la-science-est-elle-en-crise?vu=15.01.2019> dans le Journal CNRS. FR.
14. Descartes René, Discours de la méthode. Édition électronique (ePub) v.: 1,0: Les Échos du Maquis, 2011.
15. Denis Gautier, Environnement, discours et pouvoir, Editions Quæ, Collection Update Sciences et Technologies, Paris, 2012.
16. Dany Rober Dufour, L'individu qui vient après le libéralisme, collection Folio essais, édition Denoël, Paris, 2011.

17. Dany Rober Dufour, Le Divin marché, collection Folio essais, éd Gallimard, Paris, 2011.
18. François Jarrige, Face au monstre mécanique; Une histoire des résistances à la technique. Edition Imho, coll Radicaux, 2009.
19. François Jarrige, Face au monstre mécanique, éditions ihmo, Collection Radicaux libres, Paris, 2009.
20. Jean-Marc Lévy-Lebond, Auto-critique de la science. Ed Seuil, Paris, 1973.
21. Jacques Testart, L'humanité au pouvoir. Comment les citoyens peuvent décider du bien commun, Seuil, 2015.
22. Heinrich Geiselberger, L'âge de la régression; tr par Frédéric Joly, Jean-Marie Saint-Lu ; éd Gallimard, éd Premier Parallèle, 2017.
23. Hannah Arendt, La crise de la culture; éd Gallimard, Paris, 1972.
24. Heinrich Geiselberger, L'âge de la régression, op. cit., p.176.
25. Heinrich Geiselberger, L'âge de la régression; tr par Frédéric Joly, Jean-Marie Saint-Lu ; éd Gallimard, éd Premier Parallèle, 2017, p.38.
26. Maurice B. Line, « Savoir c'est pouvoir, or le pouvoir est dangereux ». Bulletin des bibliothèques de France (BBF), 1991, n° 4, p. 268-279.
27. Michel Foucault, l'archéologie du savoir, édition Gallimard, Paris, 1969.
28. Gilles Lipovetsky, Le Crépuscule du devoir; éd Gallimard, Paris, 1992.
29. Serres Michel, Le Contrat naturel, Paris, François Bourin, 1990.
30. Simon Tabet, « Zygmunt Bauman et la société liquide »; Sciences Humaine magazine, num 254, décembre 2013.